الإفتتاحية

بعضٌ مِنْ هُوِيّةِ بولس بِقَلمِه ! (روم ١:١)

مقدمة

تشكل الصيغة الافتتاحية، التي بها يحيّي بولسُ الرومانيين، المدخلَ العلنيَّ للرسالة التي يبعث بها وحده، أي من دون شركاء، كما يفعل عادة؛ قد يكون ذلك بسبب أنه يكتب إلى كنيسة لا تعرفه بعد، ويحتاج بالتالي إلى أن يقدم نفسه لها، كما أيضاً تعليمه.

في روم ١:١، يبرز «بولس» هويته، واصفاً ذاته بثلاثة ألقاب متجذرة في العهد القديم، هي التالية : «عبد المسيح يسوع»، «المدعو ليكون رسولاً»، «المفصول لإنجيل الله».

أ - « من بولس »

«بولس» هو بالتأكيد الاسم الذي كان الرسول يتمنّى أن يُعرف به في كلّ رسائله (روم ١:١؛ ١ قور ١:١ و١٢ و١٣؛ ٣:٤ي و٢٢؛ ١٦:٢١؛ ٢ قور ١:١؛ ٤:١٨؛ ١٠:١٠؛ ١١:١٦-٣٢؛ غل ١:١؛ أف ١:١؛ ٣:١؛ فل ١:١؛ كول ١:٢٣؛ ١ تس ١:١؛ ٢:١٨؛ ٢ تس ٣:١٧؛ ١ تيم ١:١؛ ٢ تيم ١:١؛ تيط ١:١؛ فلم ١:٩ و١٩؛ أنظر أيضاً رُسُل).

لم يذكر بولس في رسائله اسمه العبري «شاول» إطلاقاً، بالرغم من أنّه، استناداً إلى كتاب أعمال الرسل، كان يُعرف بهذا الاسم عند ارتداده، وطوال بدايات عمله الرسولي، كما أيضاً كمبعوث للكنيسة إلى أنطاكية (رُسُل ١:٩ و٤؛ ١٣:١-٢ و٧). دعاه لوقا بهذا الاسم خمس عشرة مرة في أعمال الرسل، من ٧:٥٨ إلى ١٣:٩، عندما أخلى اسم «شاول» نهائياً، وصار يسميه «بولس»، وقد يكون فعل ذلك إكراماً للوالي القبرصي سرجيوس پَاولوس

الذي كان قد آمن على يد بولس (رُسُل ١٣: ٧). مع هذا، وَوْفْقَ ما جاء في رُسُل ١٣: ٩، يبدو أنّه، في تلك الحقبة، كان له اسم مزدوج، أي «شاول – بولس».

فبصفة الرسول مواطناً رومانيّاً، من المحتمل أن يكون الاسم «بولس» جزءاً من اسم مركّب، مِثْل «يُوليوس بَاوْلُوس»، وبه كان يُسَجَّل وَفْقَ القوانين الرومانيّة. فيكون «شاول» هكذا اسمه المعتاد الذي استمرّ مستعمَلاً حتى سنّ النضوج. وبما أنّ «شاول» كان اسماً قليل التداول خارج المجتمع اليهودي، فقد كان من الطبيعي الانتقالُ إلى الاسم «بولس» الأكثر شيوعاً.

من المؤكّد أنّ التغيير المُطلق في التسمية يوحي بتبدّل أعمق في حياة الرسول. هكذا يعكس الاسم «بولس»، المستعمل في كل رسائله (رج مثلاً روم ١: ١–٥)، التزامه المتنامي كـ «رسول الأمم».

لا يشرك بولس أحداً في افتتاحيّة الرسالة إلى الرومانيين، ولا في سلامه المعتاد، على نقيض ما يفعل في مستهل رسائله (رج مع هذا، غل ١: ١). يمكننا أن نفترض أنّ بولس كان يريد أن يقدّم فقط شخصه بالذات إلى هذه الجماعات التي لا يعرفها، على أنّه رسول الأمم (رج ١١: ١٣)، مع عرض للانجيل المعْتَبَر وكأنّه خاصّته (رج ٢: ١٦؛ ١٦: ٢٥). بردّة فعل هذه الجماعات على هذا الإعلان الشخصي كان يتعلّق نجاح رسالته أو فشلها، إلى حدٍّ ما.

ب – الصفة الأولى : «عبد المسيح يسوع»

نجد ذات التسمية في فل ١: ١ : «من بولس وتيموتاوس، عَبْدَي المسيح يسوع». يدعو بولس نفسه «عبداً للمسيح يسوع»، أي مِلكاً له، مختصّاً بخدمته دون سواه خدمةً كاملة، بلا قيد أو شرط، طول أيام حياته (غل ١: ١٠؛ فل ١: ١؛ تيط ١: ١).

يضع بولس ذاته هنا في خط ميراث الآباء. كان التقيُّ اليهودي يُعتَبَرُ طبيعيّاً كـ «عبد لله» (نح ١: ٦ و١١؛ مز ١١٩: ١١ و١٣؛ ٢٧: ٩؛ ٣١: ١٦؛ الخ). الاسم مُستعمل بصيغة الجمع، كما أيضاً بصيغة المفرد، للدلالة على إسرائيل بمجمله (تث ٣٢: ٣٦؛ إر ٤٦: ٢٧؛ خر ٢٨: ٢٥؛ الخ). يُشار غالباً إلى بعض عظماء من الماضي على أنّهم «عبيد يهوه»، خاصّة موسى (مثلاً : ٢ مل ١٨: ١٢؛ نح ٩: ١٤؛ مز ١٠٥: ٢٦؛ دا ٩: ١١؛ ملا ٤: ٤)، والأنبياء (عز ٩: ١١؛ إر ٧: ٢٥؛ ٢٥: ٤؛ ٣٥: ١٥؛ حز ٣٨: ١٧؛ دا ٩: ٦؛ عا ٣: ٧؛ زك ١: ٦).

انطلاقاً ممّا تقدّم، تستمدّ الفكرةُ قوّتها من قناعة اسرائيل أن الله قد اختاره ليكون خاصّته، وكأنّه مِلكٌ مطلقٌ له. عندما استعمل بولس هذه الفكرة، لم يكن يَسعى بالضرورة إلى أن يضع نفسه في خط وجوه العهد القديم العظيمة، أولئك الذين كانوا يُدعَون «عبيد الله»، بل كان يرمي إلى أن يُشير إلى ذات الطابع المطلق واللامشروط لانتمائه وارتباطه. من هنا استعماله الواسع في المصطلح المسيحي، ليس فقط للوجوه الرسوليّة (فل ١: ١؛ ٢ تيم ٢: ٢٤؛ يع ١: ١؛ ٢ بط ١: ١؛ يهوذا ١: ١)، بل أيضاً للمسيحيّين عامّة (رُسُل ٤: ٢٩؛ ١ قور ٧: ٢٢؛ أف ٦: ٦؛ كول ٤: ١٢؛ رؤ ٢٢: ٣).

ج – الصفة الثانية : «المدعو ليكون رسولا»

الوصف الثاني الذي يطلقه بولس على نفسه، يُبرز الأصلَ الإلهي لدعوته الرسولية. من المحتمل أنه نظر إلى حدث طريق دمشق كدعوة لأن يكون رسولاً. نجد ذات الجملة كاملةً في ١ قور ١: ١ فقط: «من بولس المدعو بمشيئة الله ليكون رسول المسيح يسوع»، حيث يشدد على أنّ الله هو الذي دعاه ليكون رسولاً (١ قور ١٥: ٩–١٠؛ ٢ قور ٤: ١؛ غل ١: ٥)، كما كان يدعو سابقاً الأنبياء، أي بتواصل مع دعوة الله لوجوه من العهد القديم، مثل إرميا، وعبد يهوه.

– «المدعو»

في الاستعمال العام، تدلّ الكلمة اليونانية «كَلِيتُوسْ» (κλητος) على شخص ما مَدعوّ إلى وليمة (مثلاً : ١ مل ١: ٤١ و٤٩؛ ٣ ملك ٥: ١٤؛ متّى ٢٢: ١٤). يُحَدِّدُ قُرّاءُ بولس حصراً بأنّهم «المدعوّون»، الذين حياتهم هي مُحدَّدةٌ بدعوة الله لهم، والذين جُذِبُوا نحو تصميمه بقوّة الدعوة (روم ١: ٦–٧؛ ٨: ٢٨ و٣٠؛ ١ قور ١: ٢؛ ٩: ٢٤؛ ٧: ١٥ و١٧–٢٤؛ غل ١: ٦؛ ٥: ٨ و١٣؛ الخ). يفكّر بولس هنا بدعوة إلى مهمّة خاصّة (روم ١: ١؛ ١ قور ١: ١)، بالرغم من أنّه يهتمّ بالتأكيد بأنّه لا يمكن فَصل الدعوة الشخصية الخاصة عن دعوة الجميع (روم ١: ٦–٧؛ ١ قور ١: ٢). إنّ إدراج موضوع دعوة الله هنا في مستهل الرسالة إلى الرومانيين (١: ١ و٦–٧)، وفي إطار نصوص عبد يهوه في أشعيا (٤١: ٩؛ ٤٢: ٦؛ ٤٣: ١؛ ٤٥: ٣–٤؛ ٤٨: ١٢ و١٥؛

١:٤٩؛ ٢:٥١)، لَيدعمُ الاحتمالَ بأنّ موضوع عبد يهوه كان حاضراً في ذهن بولس.

- «رسولاً»

«الرسول» لقب مألوف عند اليهود (يو ١٦:١٣؛ ٢ قور ٢٣:٨؛ في ٢٥:٢)، صار في العهد الجديد لقباً للمنادين بالإنجيل (روم ٧:١٦؛ ١ قور ٢٨:١٢؛ أف ٢٠:٢؛ ٥:٣؛ ١١:٤)، وللتلاميذ الاثني عشر (متى ٢:١٠؛ رُسُل ٢٦:١؛ ٣٧:٢؛ ١ قور ٧:١٥؛ رؤ ١٤:٢١). حتى ولو لم يكن بولس من عداد الرسل الاثني عشر، فإنه، وبنعمة خاصة، صار رسولاً لا يقلّ شأناً عنهم (رُسُل ١٧:٢٦؛ روم ١٣:١١؛ ١ قور ٢:٩؛ غل ٨:٢؛ ١ تيم ٧:٢)؛ فمثلهم رأى المسيح الحيَّ القائمَ (١ قور ١:٩)، ومثلهم نال منه مباشرة (غل ١:١ و١٧ و١٩) نعمة الرسالة والبشارة (رُسُل ١٦:٢٦؛ روم ٥:١؛ غل ١٦:١). وبالرغم من أنه يدعو نفسه «آخِرَ الرسل» (١ قور ٩:١٥)، فإنه «لم ينقص شيئاً عنهم» (١ قور ٥:٩؛ غل ٦:٢-٩؛ ٢ قور ٥:١١؛ ١٢:٢).

تعني كلمة «رسول» شخصاً ما «مرسَلاً»، أو «مبعوثاً»، أو «موفداً مِن قِبَل» أحدٍ ما (أنظر ٢ قور ٢٣:٨؛ فل ٢٥:٢). من هنا المعنى المتخصّص، أي «مُرسَل أو رسول المسيح»، الذي صار تعبيراً تقنيّاً في المصطلح المسيحي. عندما دعا بولس ذاته «رسولاً»، افترض مسبقاً وبوضوح أنّ المسيح القائم من الموت قد أوكل مهمّة خاصّة إلى فريق ما محدّد، وفي وقت محدّد، من بعد قيامته (١ قور ٨:١٥ - «وأخيراً»)، ويشهد بوجود سلطة تُمارَسُ بنوع خاص في مهمّة معيّنة، هي إقامة الكنائس (١ قور ١:٩-٢). ينادي بولس بعمل رسولي خاص نحو الأمم (رج ١١:١٣)، ولكن بمعنى حصري، كونه كان يَعُدُّ رسلاً مجموعةً تتخطّى الاثني عشر، تتضمّن العديد من الذين كانوا مشتركين بطريقة أو بأخرى في الرسالة نحو الأمم (١:٥؛ ١٦:٧؛ ١ قور ٤:٩؛ ١٥:٧؛ ١ تس ٦:٢).

د - الصفة الثالثة: «المفصول لإنجيل الله»

لدينا هنا الوصف الثالث الذي يطبقه بولس على نفسه في روم ١:١. المقصود به هو ارتداده على طريق دمشق، أو قبل ذلك. في غل ١٥:١، يوضح بأنّ الله كان قد سبق واختاره قبل مولده ليلعب دوراً محدّداً في عمل الخلاص.

- «المفصول»

تتواصل كلمة «مفصول» مع كلمة «مقدّس»، ومع فعلَي «قدّس»، و«كَرَّسَ» (أنظر خاصّة حز ٤٥:٤). من المحتمل إذاً أن يكون في ذهن بولس نصّ لا ٢٦:٢٠، حيث الفكرتان بارزتان: كان التبديل الذي حقّقه يسوع يعني أن المثال الذي كان يقضي بالانفصال عن الأمم، قد أصبح بالنسبة إلى بولس انفصالاً لـالأمم (لكن رج ٢ قور ١٧:٦ = أش ١١:٥٢). يُفْرَدُ بولس هنا، كما أُفرِدَ على طريق دمشق (غل ١٥:١)، أو إلى كنيسة أنطاكية (رُسُل ٢:١٣).

- «إنجيل»

يعني الـ«إنجيل» (١٦:١؛ ١٦:١٠؛ ٢٨:١١؛ ١ قور ١٥:٤؛ الخ) بشرى يسوع المسيح السارّة. كونه هكذا، ينبغي أن يُفهم بالتأكيد أنه صياغة مسيحيّة، ونتيجة تبشير مؤمنين يهود لمواطنيهم الناطقين باليونانيّة (أي الشتات). قد ينبغي أن نعتبر أكثر احتمالاً أن يكون التعبير المسيحي، «إنجيل»، متأتٍّ من مجموعة قديمة من تبشير يسوع بالذات، كانت فيها الصيغة الفعليّة قد صارت مستعملة، بارتباط مباشر مع أش ٦١:١-٢ (متى ١١:٥ // لو ٢٢:٧؛ رُسُل ٣٦:١٠). بالتأكيد، كان وجودها في مقام متقدّم في النصف الثاني من أش (٤٠:٩؛ ٥٢:٧؛ ٦٠:٦؛ ٦١:٦) مؤثّراً في الفكر اليهودي في المرحلة السابقة مباشرة ليسوع (مزامير سليمان ١١:١؛ ١قمران هُوذَايُوت ١٨:١٤؛ ١ قمران ملكيصادق ١٨). يجعل التأثير القوي لهذا الجزء من أش على الفكر المسيحي الأقدم (كما هذا جليّ في روم ١:١-٧؛ أنظر أيضاً ١٠:١٥-١٦) محتملاً جداً أن يكون الاسم المفرد «إِوَنْجِلْيُونْ» -«إنجيل» قد صيغَ سريعاً في الرسالة ذات اللّغة اليونانيّة ليكون مرجعاً مناسباً وخاصّاً للتعبير عن القناعة القويّة بأنّه كان هناك أمر هام للتبشير به، هي «بشرى اللّه السعيدة».

- «لإنجيل»

أي بهدف التبشير بالإنجيل (رج ٢ قور ١٢:٢؛ رُسُل ٢:١٣). من المحتمل ألاّ تكون لدى بولس النيّة بأن يعني بكلمة «إنجيل» فعلَ التبشير بالذات (رج الكلمة اليونانية «كاريغما» = κηρυγμα- روم ٢٥:١٦؛ ١ قور ٢١:١؛ ٤:٢؛ ١٤:١٥). تعكس لغته

بالأحرى واقعَ أنّه، منذ ارتداده، شكل الانجيل نقطة الاستقطاب المُهَيمنة والحاسمة لمجمل حياته (رج غل ١:١٦).

- «إنجيل الله» ———————

نجد هذا التعبير في روم ١٥:١٦؛ ٢ قور ١١:٧؛ ١ تس ٢:٢ و٨، و٩؛ أيضاً مر ١:١٤؛ ١ بط ٤:١٧. إنه «إنجيل الله»، لأن الله هو مصدر رسالة بولس (روم ١:٩؛ ١٥:١٦؛ ٢ قور ١١:٧). يبتعد بولس عن عبارته الافتتاحيّة المعتادة («رسول يسوع المسيح»، «بمشيئة الله» – ١ قور ١:١؛ ٢ قور ١:١؛ كول ١:١؛ أف ١:١؛ ٢ تيم ١:١؛ رج غل ١:١؛ ١ تيم ١:١؛ تيط ١:١)، لا بل يرتّب أيضاً إعلاناً مُتّزناً يُدعى فيه المسيح يسوع مع اللّه السلطة التي تشرّع لمجمل رسالته ويجعلها صالحة.

خاتمة

نستنتج من تفسير روم ١:١ أن هويّة «بولس» متجذرة في تصميم الله الذي «اختاره قبل أن يُصَوَّرَ في الحشا»، وفي تعابير العهد القديم ولاهوته، وفي شخص الرب يسوع الذي ظهر له، ودعاه لأن يكون «عبداً» له، و«رسوله»، «المفصول لإنجيل اللّه».

رئيس التحرير